

تفسير البحر المحيط

@ 98 القرآن والمعجزات وسموها سحراً ولم يؤمنوا بالرسول ؛ انتهى . وفيه دسياسة الاعتزال بقوله : حيث قالوا : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا . وقال ابن عطية : ممن افترى اختلق والمكذب بالآيات مفترى كذب ولكنهما من الكفر فلذلك نما مفسرين ؛ انتهى . ومعنى { لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ } لا يظفرون بمطالبهم في الدنيا والآخرة ، بل يبقون في الحرمان والخذلان ونفي الفلاح عن الظالم فدخل فيه الأظلم والظالم غير الأظلم وإذا كان هذا لا يفلح فكيف يفلح الأظلم ؟ . .

{ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } قيل : { وَيَوْمَ } معمول لا ذكر محذوفة على أنه مفعول به قاله ابن عطية وأبو البقاء . وقيل : المحذوف متأخر تقديره { وَيَوْمَ } الزمخشري . وقيل : العامل انظر كيف كذبوا يوم نحشرهم . وقيل : هو مفعول به لمحذوف تقديره وليحذروا يوم نحشرهم . وقيل : هو معطوف على ظرف محذوف ، والعامل فيه العامل في ذلك الطرف والتقدير أنه لا يفلح الظالمون اليوم في الدنيا ويوم نحشرهم قاله الطبري . وقرأ الجمهور { نَحْشُرُهُمْ } ثم نقول بالنون فيهما . وقرأ حميد ويعقوب فيهما بالياء . وقرأ أبو هريرة { نَحْشُرُهُمْ } بكسر الشين ، والظاهر أن الضمير في { نَحْشُرُهُمْ } عائد على الذين افتروا على الله الكذب ، أو كذبوا بآياته وجاء { ثُمَّ نَقُولُ } لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا } بمعنى ثم نقول لهم ولكنه نبه على الوصف المترتب عليه توبيخهم ويحتمل أن يعود على الناس كلهم وهم مندرجون في هذا العموم ثم تفرد بالتوبيخ المشركون . وقيل : الضمير عائد على المشركين وأصنامهم ألا ترى إلى قولهم { أَشْرَكُوا } الَّذِينَ طَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ } من دون الله وعطف ب { * بئس } للتراخي الحاصل بين مقامات يوم القيامة في المواقف ، فإن فيه مواقف بين كل موقف وموقف تراخ على حسب طول ذلك اليوم ، و { أَشْرَكُوا } أَشْرَكُوا } سؤال توبيخ وتقريع وظاهر مدلول { أَشْرَكُوا } غيبة الشركاء عنهم أي تلك الأصنام قد اضمحلت فلا وجود لها . وقال الزمخشري : ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا إمكان خزيهم وحسرتهم ، انتهى . والمعنى أين آلهتكم التي جعلتموها شركاء ؟ وأضيف الشركاء إليهم لأنه لا شركة في

الحقيقة بين الأصنام وبين شيء ، وإنما أوقع عليها اسم الشريك بمجرد تسمية الكفرة فأضيفت إليهم بهذه النسبة والزعم القول الأميل إلى الباطل والكذب في أكثر الكلام ، ولذلك قال ابن عباس : كل زعم في القرآن فهو بمعنى الكذب وإنما خص القرآن لأنه ينطلق على مجرد الذكر والقول ومنه قول الشاعر : % (تقول هلكننا وإن هلكنا وإنا % . على أن أرزاق العباد كما زعم .

.) % .

وقال ابن عطية : وعلى هذا الحد يقول سيبويه : بزعم الخليل ولكن ذلك يستعمل في الشيء الغريب الذي تبقى عهده على قائله ؛ انتهى . وحذف مفعولاً { يَزْعُمُونَ } اختصاراً إذ دل ما قبله على حذفهما والتقدير تزعمونهم شركاء ، ويحسن أن يكون التقدير كما قال بعضهم : { أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } إنها تشفع لكم عند الله عز وجل . . .

{ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَبْتَ عَنْهُمْ وَإِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } تقدم مدلول الفتنة وشرحت هنا بحب الشيء والإعجاب